اشد الاعجاب، واغلب فصول الرواية دارت حول هذا الامر، وكأن الصراع ليس الّا صراع حب وجسد بين الشعبين. وما وجدته هدى مع أليكس العاشق الحنون لم تجده مع بهيج العربي. فاليهودي عاشق جيد، وهدى تبحث عن عاشق جيد بكل جوارحها. أهكذا تطرح الامور؟!

وبساعة فكرت هدى بوحيد، خطيب اختها ماري، رأينا التنميط والقولبة يبلغان اقصى مدى: «لكن وحيداً كان مهماً في نظري في تلك الساعة، لأنه كان عربياً واضح الجذور اكثر منّي ومن ماري. انه يعيش في قرية ولا يردد اشعار عميحاي غيباً. ومع ان ثيابه اسرائيلية عصرية، الّا انه، بروحه وطريقة تفكيره، ما زال ملتصقاً بالجذور» (ص ١٥٣).

لذا، بدت ازمة هدى انها ليست لصيقة بالجذور، وما بحثت عنه يخالف هذه الجذور. وسافرت هدى وماري مع أليكس ووحيد الى ايلات. وهناك نامت ماري مع خطيبها وحيد وأصيبت بفزع (ص ١٨٢ ـ ١٨٣)، بينما لم تصب هدى بأي فزع مع أليكس الحنون.

وحين عادت ماري وهدى الى البيت علمتا بأن قريبهما في بيروت قتل. وبدأت ادانة أليكس من قبل الجميع؛ وبدأ الكاتب بافتعال المواقف لضرب العلاقة (ص ١٨٧)، مع ان الجد حاول تهدئة الجو ورؤية الامور بشكل آخر.

وأُخذ أليكس الى الجندية، ولم تره هدى قبل ان يسافر. وبعد مضي فترة، عرفت انه قتل في الحرب. وما فكرت به هدى قدّم الينا صورة واضحة عن الصراع الذي دار في داخلها: «لقد ربطت مصيري بيهودي؛ لكن مخاوفي كانت مخاوف عربية؛ حتى اني لم اجرؤ على الاقتراب وسؤال الناس القلقين الواقفين على الرصيف. خيّل الي انهم كلهم يرون ذلك على وجهي؛ شعرت بأني اسير كعربية؛ انظر كعربية؛ افكر كعربية. شيّع الرجال والنساء الواقفون على الرصيف الابناء والاخوة والازواج والآباء الذاهبين الى حرب يهودية، بنظرة يهودية. تعاظمت الغربة في داخلي مع كل خطوة خطوتها...» (ص ٢٢٠).

هذا الصراع المنمّط تأزم في داخل هدى، الى ان علمت، بعد فترة، بأنها حامل من أليكس. وظل الجنين بقايا اسئلة حملتها هدى في داخلها عن المستقبل.

لم تنجح الرواية في تقديم ارضية حقيقية للشخصيات العاملة على تطوير الحدث. وكما رأينا في السابق، فان قضية المزواجة بين العربي واليهودي بشكل مفتعل، كما طرحها ميخائيل، سقطت. وفي هذه الرواية الاخيرة، فشل ميخائيل في تقديم واقع حقيقي ينبع من الصراع، بل انه قدّم، خارج اطار الايديولوجيا والصراع، عالماً هشّاً لفتاة حالمة نمّط شخصيتها وقولبها وجعلها اداة لبناء رواية ضعيفة.

يبقى سؤال يتردد: لماذا قتل أليكس؟ ألَم يكن الاجدر ان يظهر في بداية الرواية، لنرى ما قد يحدث بعد زواجه من هدى؟ الأزمة ليست ازمة افراد، ولا أزمة احزاب، ولا ازمة عقد واسقاطات، بل الازمة ازمة صراع يستمر ويستنزف القوى. والرواية دليل على فشل ميخائيل في التقاط جزئيات الواقع لاعادة تركيبها، ولطرح معادل موضوعي للصراع.

خلاصة

قدّم ميخائيل الينا، في مجموع رواياته التي سبق ذكرها، عالماً عاشه، واراد من تقديمه لهذا العالم ان يؤكد لنا حقيقة افلاس الايديولوجيا اليسارية (وخصوصاً الشيوعية) وعدم امكان اللقاء